

من استدرك البحر المتدارك على البحور الخليلية

الدكتور علي أصغر قهرماني مقبل*

الملخص

يزعم كثيرٌ من العروضيين العرب في العصر الحديث أنّ الأخفش الأوسط هو الذي استدرك البحر المتدارك على البحور الخليلية الخمسة عشر، ولكن الدراسة التاريخية والبنوية لهذا البحر تبنت أنّ المتدارك ليس من استدراقات الأَخْفَش على الخليل، بل ابن حمّاد الجوهري هو الذي استدركه على البحور الخليلية، لأنّه كان بحاجة ماسّة إلى هذا البحر في فرضيته العروضية. منهجنا في هذا المقال هو منهج تاريخي و تحليلي، إذ إنّنا درسنا المتدارك وانتسابه إلى الأَخْفَش دراسة تاريخية كما عالجتنا نسبة المتدارك إلى الجوهري معالجة بنوية. **كلمات مفتاحية:** العروض العربي، البحر المتدارك، الأَخْفَش، الجوهري.

المقدمة

تبيّن لنا الإشكالية المطروحة في المقال من عنوانه إذ إنّنا نريد أن نبحث عن العالم العروضي الذي استدرك البحر المتدارك على البحور الخليلية، فيمكننا أن نقسّم المقال إلى مبحثين أساسيين؛ نعالج في المبحث الأوّل كيفية انتساب المتدارك على الأَخْفَش الأوسط معالجةً تاريخيةً، ونحاول الإجابة عن هذا السؤال: هل تؤيد دراسة المتدارك دراسةً تاريخيةً وبنويةً أنّ الأَخْفَش هو الذي استدرك هذا البحر على العروض الخليلي؟ وإن كان الجواب: لا، فمن كان أوّل عالم عروضي استدرك المتدارك على الخليل وأحكم بنيانه وأتقن قواعده وشرح علله وزحافات؟ فالإجابة عن السؤال الثاني هو موضوع المبحث الثاني الذي نسعى إلى الوصول إليه بأدلة وبراهين.

آراء علماء العروض المعاصرين حول انتساب المتدارك إلى الأَخْفَش

إنّ انتساب البحر المتدارك إلى أبي الحسن سعيد بن مسعدة المشهور بالأَخْفَش الأوسط

* خريج معهد الآداب الشرقية بجامعة القديس يوسف، وأستاذ مساعد بجامعة خليج فارس، بوشهر، إيران.

(٨٣٠/٢١٥) صار اليوم من بديهيات علم العروض ولا يرى أيّ باحث في النظام الشعري حاجة إلى أن يبحث عن صحّة هذا الانتساب أو سقمه، ولا نرى الحساسيّة في هذا الموضوع عند أغلبية الباحثين المعاصرين في العروض حتّى عند الكبار منهم، نكتفي بذكر بعض منهم:

يقول إبراهيم أنيس في المتدارك: "هذا هو البحر الذي لم يعرض له الخليل [٧٨٦/١٧٠] ويُنسب إلى الأخفش لأثّه، كما يعبر أهل العروض، تدارك به على الخليل وقد خلعوا على هذا البحر أسماء كثيرة ونعتوه بنعوت شتى... أن أمثلة هذا البحر وشواهد تكاد تكون متّحدة في كلّ كتب العروض وهي عبارة عن أبيات منعزلة غير منسوبة لأصحابها تبدو عليها الصنعة والتكلف... ولسنا ندرى سرّ انصراف الشعراء عن هذا الوزن من أوزان الشعر رغم انسجام موسيقاه وحُسن وقعها في الآذان".^١

وقد خالف عبد الله الطيّب رأي إبراهيم أنيس في موسيقى البحر المتدارك ووصفه بالبحر السديني للغاية وكلّه جلبة وضجيج،^٢ لكنّه وافقه في نسبته إلى الأخفش قائلاً: "أدخل [الخليل] كلّ الأوزان المستعملة - كما زعم - في نطاق مجوره الخمسة عشر، وقد استدرك عليه الأخفش الأوسط وزناً سادس عشر واستخرجه من الدائرة الخامسة هكذا: لن فعلان فعو إلخ، وتساوى فاعلن فاعلن فاعلن إلخ ولم يزد العلماء شيئاً بعد الأخفش ولم يجرّوا الشعراء على الإتيان ببحر جديد إلّا ما ندر".^٣

وكذلك قد ورد هذا الانتساب في دائرة المعارف الإسلاميّة، مادّة «المتدارك» إذ يقول صاحب المقالة: "إنّ المتدارك هو البحر السادس عشر في العروض العربيّ الذي زاده الأخفش على بحور الخليل".^٤ والغريب أنّه لا يوجد أيّ توثيق من عند الكاتب واكتفى بالإحالة إلى مادّتي «الأخفش الأوسط» و«عروض» في الكتاب نفسه.

عندما نراجع مادّة «الأخفش الأوسط» نلاحظ أنّه لم ترد فيها أيّ إشارة إلى قضية المتدارك سوى بعض الإحالات إلى كتب التراجم. وعند الرجوع إلى هذه الكتب مثل المعارف لابن قتيبة (٨٨٩/٢٧٦) وأخبار النحويين البصريين للحسن السيرافي (٩٧٩/٣٦٩) وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي (٩٨٩/٣٧٩) ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (١١٨١/٥٧٧) ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (١٢٢٩/٦٢٦) وغيرها نرى أنّ الأخفش اللغوي والنحوي هو الوجه الغالب في هذه التراجم فلا نلاحظ أيّ إشارة إلى هذا الاستدراك إلّا ما ورد في كتاب وفيات الأعيان وستحدّث عنه

١ إبراهيم أنيس موسيقى الشعر ص ١٠٣، ١٠٦.

٢ عبد الله الطيّب المرشد ج ١ ص ٨٠.

٣ المصدر السابق ص ١٤.

بعد قليل.

وأما في مادة «عروض» فنرى أن المتدارك مندرج في لائحة البحور الخليلية دون إشارة إلى أنه مستدرك عن قبل الأخصش أو غيره.^١ وقد ناقش كمال أبو ديب آراء فايل (Gotthold Weil) المطروحة في مقالة «عروض»، ومما يناقشه هو قضية البحر المتدارك فيذكره كمال أبو ديب هذا الإهمال قائلاً: "ينسب فايل البحور الستة عشر كلها إلى الخليل وهذا خطأ واضح، فالمتدارك ليس بحراً خليلياً وإن كان في دائرة المتقارب بحر، له التراكيب نفسه سماه الخليل مهملاً والمتدارك حدده الأخصش، كما تقرّر مصادر التراث".^٢

وقد نهج المنهج نفسه عروضيون آخرون من العرب والإيرانيين والمستشرقين. ولكن هناك فرقاً كبيراً بين العروضيين في قضية إثبات تدارك الأخصش على الخليل؛ ففئة منهم -وعدددهم قليل جداً- تعتقد أن الخليل لم ينتبه إلى هذا البحر، وفئة ثانية تعتبر أن الخليل قد عرفه، ولكن أهمله لعدم الحصول على شواهد شعرية في التراث العربي آنذاك كما أهمل أوزاناً أخرى مسمّاة بالبحور المهملة في بعض الدوائر مثل مقلوب الطويل (مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن) لأنه لم يجد شاهداً شعرياً على هذا الوزن. يستغرب الإنسان من أصحاب الرأي الأول، فكيف أنهم أعربوا عن عدم انتباه الخليل إلى هذا البحر مع أنه هو الذي أبدع الدوائر العروضية، فكان من السهل جداً للخليل استخراج البحر المتدارك من الدائرة الخامسة -وهي أبسط الدوائر- أي إذا بدأ بالسبب خرج منها وزن «فاعلن فاعلن فاعلن» فممن المستحيل جداً أن الخليل ما كان قد انتبه إلى هذا الوزن. إذن هناك إهمال من جانبه كما ورد في كلام كمال أبو ديب وغيره مع اطلاعه على هذا النوع من الوزن فعده من الأوزان المهملة لأنه لم يجد شواهد شعرية عليه. فصرح ابن السراج الشنتريني (١١٥/٥٥٠) على ذلك في قوله: "وليس [المتدارك] عند الخليل شعراً، ويروى أنه نصّ على طرحه".^٣

هذا ويُطرح السؤال الأساسي وهو أن الأخصش كيف استدرك هذا البحر على البحور الخليلية مع علم الخليل بذلك لكنّه لم يجد له شواهد من التراث الشعري؟ إلاّ نفترض أن الأخصش قد أخرج من الأوزان المهملة لإثبات وجود شواهد شعرية كقصيدة أو بعض مقطوعات منظومة على المتدارك. يقول محمّد العلمي في هذا المجال: "والواقع أنني... لا أنفي معرفة الخليل لهذا البحر، ولكنّي لا أميل إلى أن

1 See: Weil, "Arūd", *E.I.2*, vol. I, p. 670.

٢ كمال أبو ديب في البنية الإيقاعية ص ٤٠٣.

٣ ابن السراج المعيار في أوزان الأشعار ص ٨٤.

الأخفش لم يُثبتته، وفي إثباته له خالف المبدأ الذي اعتمد عليه الخليل في إثبات البحور، وهو كونها غير شاذة في الاستعمال عند العرب. ومما يؤكد عندي إثبات الأخفش له بعد أن نصّ الخليل على طرحه،... أنه لم يُراعِ شيوع النوع، بل راعى الأبيات المنفردة المنعزلة، فخضع للسمع في أندر ظواهره، وهو ما سُمّي عند غيره بالشاذ^١.

أمّا عبد الحميد الراضي شارح تحفة الخليل فقد رفض أنه استدراك الأخفش المتدارك، بحجة أن للخليل قصيدتين على البحر المتدارك؛ إحداهما على وزن «فَعْلَن فَعْلَن فَعْلَن فَعْلَن»، والأخرى على وزن «فَعْلَن فَعْلَن فَعْلَن فَعْلَن»؛ فكأنه يريد أن يثبت أن المتدارك في ضمن البحور الخليلية. فيقول: "فلا معنى للقول إنّ الخليل قد أغفله [المتدارك] وإنّ الأخفش استدركه عليه، ولو افترضنا أنّ الخليل لم يجد لهذا البحر شاهداً في الشعر العربي، فلا أقلّ من أن يذكره في عداد البحور المهملة، كما ذكرنا المتمدّد في الدائرة المختلفة والمتوفّر في المؤلفات والمطرّد في المشتبهة، هذا وقد ذكر القفطي في إنباء الرواة أنّ للخليل قصيدتين من هذا البحر^٢... وبهذا يتبيّن زيف تلك الأسطورة القائلة بإغفال الخليل هذا الوزن وإنّ الأخفش قد استدركه عليه"^٣.

نحن نتفق مع شارح تحفة الخليل في إنكار نسبة المتدارك إلى الأخفش لكنّ كلامه في رأينا غامض وغير مقنع؛ لأنّه بعد أن أنكر تدارك الأخفش البحر المتدارك، نسبه إلى الخليل نفسه بحجة أنّ له أشعاراً منظومة على هذا البحر وأنّه لم يذكر المتدارك ضمن البحور المهملة، إذن المتدارك هو ضمن البحور الخليلية فلا مجال للاستدراك عليه. ولكن يمكننا أن نناقش شارح التحفة أولاً: في صحّة هذه الأشعار من جهة، ثانياً: لا يمكن للرجل العروضي -ولو كان الخليل- أن يُثبت بجرّ استناداً إلى أشعاره نفسه، ثالثاً: لم يرد في أيّ مصدر من المصادر انتساب المتدارك إلى الخليل قطّ، وستتناول ذلك بعد قليل.

وإنّا قد وجدنا أدلّة وبرهانين تثبت أنّ المتدارك ليس من عند الأخفش ولكن قبل أن نخوض في الأمر فلا بدّ من أن نشير إلى أنّ مسألة استدراك بحر ما على البحور الخليلية لم تكن مسألة بسيطة وهيئة عند علماء العروض.

موقف العروضيين من استدراك بحر جديد على البحور الخليلية

يمكننا الاستنباط من أرجوزة ابن عبد ربّه أنّ مؤسس علم العروض العربي الخليل بن أحمد

١ محمد العَلَمي العروض والقافية ص ١٩٧.

٢ انظر: جمال الدين القفطي إنباء الرواة على أنباه النحاة ج ١ ص ٣٤٢.

٣ عبد الحميد الراضي شرح تحفة الخليل ص ١٧-١٨.

(٧٨٦/١٧٠) قد أجاز استدرك أوزان شعرية أخرى على ما استخراجها نفسه في خمسة عشر بحراً، ولكن لم يشرح لنا صاحب العقد شروط هذا الاستدراك وكيفيته.^١

وقد ناقش الأخفش هذا الموضوع قائلاً: "فإن قال قائل: أليس أول من بنى الشعر، إنما بنى بناءً أو بنائين ولم يأت على الأبنية كلها ثم زاد الذي بعده؟ فلم يزل يُجوز لهم أن يزيدوا، فكيف لا تُجوز الزيادة؟ قلت: أمّا من بنى من العرب الذين سجيّتهم العربية بناءً فهو جائز، وإن لم يكن سمعه قبل ذلك، كما أتت إذا سمعتُ منه لغة وهو فصيح، أخذتُ بها، فإذا كان ذلك البناء ممن ليست سجيّته العربية لم آخذ عنه، كما لا آخذ عنه اللغة".^٢

نلاحظ أن الأخفش كأستاذه الخليل لم يعلق طريق الاستدراك للشعراء العرب فذكر لنا شروط الإتيان ببناء جديد وهو يقصد من البناء البحر الشعري فيجب أن يكون المستدرك من العرب الذين سجيّتهم العربية فحسب.

إذن كانت قضية الاستدراك مطروحة من بدايات علم العروض ومن أنصار جواز الاستدراك يمكننا أن نذكر ابن حمّاد الجوهري (١٠٠٣/٣٩٣) وجماد الله الزمخشري^٣ (١١٤٤/٥٣٨). ولكن هناك من يخالفون استدرك بحر على البحور الخليلية مخالفة عنيفة وعلى رأسهم ابن عبد ربّه (٩٤٠/٣٢٨) الذي أمهى أرجوزته - بعد شرح الدائرة الخامسة وفيها البحر المتقارب وحده - بمناقشة الخليل نفسه في هذا المجال:

هذا الذي جرّبهُ المُجَرَّبُ	من كُلِّ ما قالتْ عليه العربُ
فكُلُّ شيءٍ لم تُقَلِّ عليه	فإنّنا لم نلتفتْ إليه
ولا نقولُ غيرَ ما قد قالوا	لأنّه من قولنا مُحالُ
وإنّه لو جازَ في الأبياتِ	خلافُها لجازَ في اللغاتِ
وقد أجازَ ذلكَ الخليلُ	ولا أقولُ فيه ما يقولُ
لأنّه ناقضَ في معناه	والسيفُ قد يَنبُو فيه ماءُ
إذ جعلَ القولَ القديمَ أصلَهُ	ثمَّ أجازَ ذا وليسَ مثلهُ

١ أنظر: ابن عبد ربّه العقد الفريد ج ٥ ص ٤٤٢.

٢ الأخفش العروض ص ١٢٧-١٢٨.

٣ الزمخشري القسطاس ص ٢٣-٢٤.

و قد يَزِلُّ العَالِمُ التَّحْرِيرُ و الحَبْرُ قد يَخُونُهُ التَّحْبِيرُ^١

تدلنا هذه المناقشة على بوادر محاولات جزئية خارجة عن إطار البحور والأوزان الخليلية، ونلاحظ أن ابن عبد ربه يحتج على الخليل احتجاجاً قاسياً بأن المعيار لعلم العروض هو القول القديم وحده وهو لن يلتفت إلى أوزان مستحدثة.

والواقع الذي وقع في الشعر العربي بعد الخليل إنما اقتصر الشعراء على البحور الخليلية ولم يخرجوا منها أو لم يخرجوا على الخروج منها إلا قليلاً نادراً وقد أصبحت الأوزان الخليلية هي المعيار للشعر الصحيح والشعر السقيم من ناحية الوزن. ومن جهة أخرى فلم يظهر شعر كلاسيكي ناجح خارج عن الأوزان الخليلية، فمع الاعتراف بأوزان البحر المتدارك من قبل العروضيين بعد منتصف القرن الرابع/العاشر فهي من الأوزان الفاشلة في الأدب العربي ولا توجد من زمن استدراكها إلى يومنا هذا، قصيدة أو منظومة متكاملة عليها إلا أبيات نادرة منفردة وموضوعة عادة من قبل العروضيين ليستشهدوا بها في كتبهم العروضية.

فيجب أن لا ننسى الدور الذي قامت به الدوائر الخليلية في هذا المجال، فهي ضيّقت المجال للشعراء أن لا يفكروا خارجاً عن الدوائر، ولكن من جانب آخر فقد أفسحت لهم مجالاً أن يجربوا حظهم في أوزان يمكن استخراجها من الدوائر، أي الأوزان التي أهملها الخليل لعدم وجود شواهد شعرية فيها؛ فقد ذكر ابن حماد الجوهري في عروض الورقة ستة أوزان محدثة -غير أوزان البحر المتدارك- فهي مجزوء الطويل، والمديد المثنى، والبسيط المربع، والهزج المسدس، والرجز الموحد، والمتقارب المربع.^٢ ومن الواضح جداً أن هذه الأوزان، نُظِمَ عليها متأثرة بدوائر الخليل، لأن المديد مثلاً ثماني في دائرة والهزج سداسي.

الأدلة التي ترفض نسبة البحر المتدارك إلى الأخفش

أما الأدلة التي ترفض نسبة البحر المتدارك إلى الأخفش فيمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام، هي:

١ - كتابا الأخفش: لقد وصلنا لحسن الحظ كتابا الأخفش في العروض وفي القوافي فيعطينا هذان

الكتابان خصوصاً كتاب العروض رؤية واضحة في قضية انتساب المتدارك إلى الأخفش.

لقد حقق كتاب العروض أحمد محمد عبد الدايم ونشره سنة ١٤٠٥/١٩٨٥، ونحن لا نشك في

صحة نسبة هذا الكتاب إلى الأخفش لتطابق أسلوبه مع أسلوب كتب الخفش الأخرى من جهة

١ ابن عبد ربه المصدر السابق ج ٥ ص ٤٤١-٤٤٢.

٢ الجوهري عروض الورقة ص ١٥، ١٨، ٢٣-٢٤، ٢٦، ٤١، ٤٤، ٤٦. (الصفحات وردت على ترتيب الأوزان)

ولتوافق الآراء الواردة فى الكتاب مع ما نقله العروضيون عن الأحفش فى كتبهم. وما يُدهش القارئ أنّ البحر المتدارك غائب من الكتاب كلياً ولا يوجد فيه إلاّ البحور الخمسة عشر الخليلية وآخرها المتقارب وحده فى الدائرة الخامسة.^١

ومما يؤيد هذا الرأي كتاب القوافى الذى حقّقه عزّة حسن ونشره سنة ١٣٩٠/١٩٧٠، ولا يوجد مصطلح البحر المتدارك فى الكتاب كلّه وإن كان قد استدركه الأحفش على الخليل فمن الطبيعي جداً أن يحاول على الإتيان بأبيات على البحر المتدارك على لأقلّ، لدعم استدراكه هذا. ومع أنّ الكتاب مشحون بالشواهد الشعرية فلا نجد بيتاً واحداً على وزن من أوزان البحر المتدارك.^٢

تجدد الإشارة هنا إلى نقطة مهمة وهى أنّ أمّهات الكتب التى تتناول النظام الشعري العربي فى العصر الحديث مثل موسيقى الشعر و المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها و فى البنية الإيقاعية للشعر العربي وغيرها من الكتب قد ألفت قبل تحقيق هذين الكتابين ونشرهما ولا سيما كتاب العروض الذى نُشر بعد كتاب القوافى بخمسة عشر عاماً، وقد زعم أصحاب هذه الكتب أن كتابي الأحفش قد ضاعا، فلم يستفيدوا من آرائه إلاّ من خلال الكتب العروضية فبالنتيجة لم ينتبهوا إلى غياب البحر المتدارك فى كتابيه.

٢- الدراسة التاريخية: لقد وُلد علم العروض فى القرن الثانى/ الثامن بدون البحر المتدارك، ومن الكتب العروضية المولّفة فى القرن الثالث/ التاسع لم يصلنا كتابٌ إلاّ كتاب الأحفش فى العروض. وفى العقود الأولى من القرن الرابع الهجري وصلنا كتاب العقد الفريد لابن عبد ربّه ولا نجد فى هذين الكتابين أثراً للبحر المتدارك.

أمّا بالنسبة إلى علماء العروض فى القرن الرابع/ العاشر، منهم من لا يذكر البحر المتدارك فى كتابه مثل ابن جنّي^٣ (١٠٠٢/٣٩٢) ومنهم من يذكره دون انتسابه إلى الأحفش مثل أبي الحسن العروضي^٤، والصاحب بن عبّاد (٩٩٥/٣٨٥) الذى قال حول المتدارك فى كلام موجز: "و لم تفكّ العرب منه [المتقارب] شعراً وبعضهم قد تعاطى الفكّ فأخرج منه «فاعلن» بتقدم السبب على التوسد

١ انظر: الأحفش العروض ص ١٦٤-١٦٥.

٢ انظر: الأحفش القوافى.

٣ ابن جنّي العروض ص ٢٢. وكذلك لم يذكره أبو الحسن الربيعى الذى تُوفّي فى العقد الثانى من القرن الخامس الهجري (١٠٢٩/٤٢٠) انظر: أبو الحسن الربيعى العروض.

٤ أبو الحسن العروضي الجامع فى العروض والقوافى ص ٢٥٧-٢٥٩.

وسمّوه الغريب والمتسق وركض الخليل وقد يجيء في الشعر المحدث «فعلن فعلن» بإسقاط الألف وفعلن بقطع الودت، وأنشروا شعراً زعموا أنه للجن^١.

قد ذكر الجوهري هذا البحر باسم المتدارك وصرّح أنّ الخليل لم يُعدّه في البحور ولكنّه لم ينسبه إلى الأخفش أبداً وستحدّث عن هذا المؤلّف بعد قليل.

وهكذا الحال في القرنين الخامس والسادس/ الحادي عشر والثاني عشر فلا يوجد انتساب المتدارك إلى الأخفش إطلاقاً مع الاعتراف به إلى جانب البحور الخمسة عشر الخليلية ومنهم: ابن رشيق القيرواني (١٠٦٤/٤٥٦) في العمدة، والخطيب التبريزي (١١٠٨/٥٠٢) في الكافي في العروض والقوافي والزمخشري (١١٤٤/٥٣٨) في القسطاس في علم العروض وابن السراج الشنتري (١١٥٥/٥٥٠) في المعيار في أوزان الأشعار وكذلك السكاكي (١٢٢٩/٦٢٦) في مفتاح العلوم، وغيرهم من العروضيين الذين تناولوا المتدارك دون نسبه إلى الأخفش^٢.

فليس من المعقول أن يعرف هؤلاء العروضيون استدراك الأخفش المتدارك على الخليل ويغضوا عيونهم عن ذكره، وكما قلنا سابقاً إنّ استدراك بحر ما، على البحور الخليلية لم يكن أمراً بسيطاً يُغض عنه. فيمكننا الاستنتاج أنّ الأخفش لم يزد على الخليل المتدارك ولم يحسبه من الأبنية الشعرية - حسب تعبيره - كما فعل أستاذه الخليل، فلا صحّة إذن لانتساب المتدارك إلى الأخفش استناداً إلى الكتب العروضية المذكورة.

٣- الدراسة البنيوية: هناك مشكلة جوهرية في إدراج بعض أوزان المتدارك ضمن العروض الخليلي، خاصّة في وزن الخبب «فعلن فعلن فعلن»^٣ أو في وزن دقّ الناقوس «فعلن فعلن فعلن» فإذنا أردنا تبيانه عن طريق قواعد الخليل، يمكننا أن نقول إنّ النون حُذفت من تفعيلة «فاعلن» وسكّنت لامها، فبقيت «فاعل» فُنحوّها إلى «فعلن»؛ فهذا من العلل اسمه «القطع»، فليس القطع من

١ صاحب بن عبّاد الإقناع ص ٧٦.

٢ أنظر: أبو الحسن الربيعي العروض؛ ابن رشيق العمدة ج ١ ص ١٣٥؛ الخطيب التبريزي الكافي ص ١٣٨-١٤٠؛ الزمخشري القسطاس ص ١٢٨-١٢٩؛ ابن القطّاع البارع في علم العروض ص ٢٠٦-٢٠٧؛ ابن السراج المعيار في أوزان الأشعار ص ٨٤-٨٥؛ السكاكي مفتاح العلوم ص ٦٨٢-٦٨٣؛ محمّد الخليلي شفاء الغليل في علم الخليل ص ١٨١-١٨٣؛ الشريف السبيّ شرح الخزرجية في علم العروض والقوافي ص ٢١؛ جمال الدين السنوي نهاية الراغب ص ٣٣٤-٣٣٨.

٣ إنّ التفعيلة الأصلية تكون بكسرة العين (فعلن UU-)، ولكن من الجوازات الوزنية الشائعة في هذا الوزن «القطع» أي تسكين العين في تفعيلات الحشو، إذ تتحوّل «فعلن» إلى «فعلن» (-).

تغييرات الزحاف، إذن موضعه في الأعراب والضروب مثل ما نجد في السريع والبسيط، لكن المشكلة التي حدثت، أن هذا التغيير وقع على تفعيلات الحشو أيضاً، وهذا يعارض قواعد الخليل، فلا بد من إخراج هذا الوزن (=دقّ الناقوس) وكذلك «الخبب» من النظام الخليلي.

إن أبا الحسن العروضي (٩٥٣/٣٤٢) أقدم عروضي تناول المشكلة المطروحة في الخبب بالتفصيل قائلاً: "أما ترك الخليل ذكر هذا وإخراجه عن أشعار العرب فلاشياء... فمنها: إن هذا النوع من الشعر لما قلّ ولم يُروَ منه عن العرب إلاّ التمر القليل، ولعله أيضاً مع قلته لم يقع إليه، أضرب عن ذكره ولم يلحقه بأوزانهم، وأيضاً فإنّ هذا الوزن قد لحقه فسادٌ في نفس بنائه أو جب رده، وذلك أنّه يجيء في حشو أبياته «فعلن» ساكن العين، ومثل هذا لا يقع إلاّ في الضرب خاصة، أو في العروض إذا كانت مصرّعة، فأما في حشو البيت فغير جائز، وما علّم في شيء من أشعار العرب. وذلك أنّ الزحاف إنّما يكون في الأسباب، والقطع في الأوتاد، ولا يكون القطع إلاّ في ضرب، ولا يكون إلاّ في وتد، فلمّا جاء هذا النوع مخالفاً لسائر أنواع الشعر تُرك وأطرح، ولو كان يجيء على بناء تامّ فيكون كلّ «فاعلن فاعلن» أو يجيء محذوف الثاني وهو المخبون فيكون على «فعلن فعلن» متحرّكة العين أو يجيء بعضه على «فاعلن» وبعضه «فعلن» كان ذلك، ولكنّه قلّ ما يجيء منه بيت إلاّ وأنت تجد فيه «فعلن» في موضعين أو ثلاثة أو أكثر".^١

وكذلك ذكر محمد بن علي المحلّي كلاماً دقيقاً في هذا المجال، قائلاً: "لم يُسمَع القطع في حشو بيت من الشعر إلاّ في هذا البحر؛ لأنّ القطع علّة، والعلل لا تكون حشواً، ولهذا أنكر بعضهم أن يكون مقطوعاً، وسمّاه مضمراً بعد الخبن، فزعم أنّ الألف من «فاعلن» سقطت للخبن، فبقي «فعلن» على صورة سبب ثقيل وسبب خفيف، فأسكنت العين للإضمام؛ لأنّها الثاني المتحرّك، بقي «فعلن»، وهذا مُشكّل أيضاً؛ لأنّ العين على الحقيقة في وتد، والإضمام زحاف، والزحاف لا يدخل الأوتاد، لا جرم أنّ الخليل رحمة الله عليه لم يذكر المتدارك في البحور البتّة".^٢ فنضيف إلى ذلك أنّ كلّ تفعيلة خليليّة لا بدّ أن تحمل وتداً، فلا توجد تفعيلة خالية من الوتد أي لا توجد تفعيلة تتكوّن من الأسباب وحدها. فقد اهتدى إلى هذه المشكلة في الوزن المذكور كلّ من جمال الدين الإسنوي،^٣ ونصيرالدين

١ أبو الحسن العروضي الجامع في العروض والقوافي ص ٢٥٨-٢٥٩.

٢ المحلّي شفاء الغليل في علم الخليل ص ١٨٣.

٣ الإسنوي نهاية الراغب ص ٣٣٧.

الطوسي،^١ و زكريّا الأنصاري،^٢ وكذلك محمد الدمهوري.^٣ فلم يعترف الخليل بهذا التغيير في نظامه العروضي، ولا الأخفش، لأننا لا نجد أثراً لهذا الاعتراف من قبل الأخفش؛ لا في كتابه، ولا فيما نُقل عنه في المصادر العروضية.

وكذلك حاول حازم القرطاجني أن يحلّ المشكلة بطريقة أخرى، لكنّه خرج من المنهج الخليلي بوضع تفعيلية «متفاعلتن» في توصيف الخبب المتحرّك العين، و«مفعولاتن» في توصيف دقّ الناقوس.^٤ فيمكننا أن نخطو خطوة أخرى في هذا المجال، وندقق أكثر في جوازات البحر المتدارك؛ فنلاحظ أنّ الشاعر قلماً يخلط التفعيلة السالمة «فاعلن» بالتفعيلة المخبوبة «فعلن» في الحشو، مع أنّ الخبب من الجوازات الشائعة الحسنة في كلّ من تفعيلتي «فاعلن» و«فاعلاتن» في البحور الخليلية كلّها. فلذلك يختلف الإيقاع الذي نجده في تكرار التفعيلات السالمة «فاعلن» عن الإيقاع الناتج من تكرار التفعيلات المخبونة «فعلن»، كأنّ الشاعر مجرّب على التزام الخبب، فيؤدّي هذا الالتزام إلى خلق وزن خاصّ من أوزان المتدارك، فهو الوزن الذي اشتهر بـ «الخبب»،^٥ ولكن من جهة أخرى قد يخلط الشاعر «فعلن» بالتفعيلة المقطوعة «فعلن» في الحشو وهو جواز شعري شائع في هذا الوزن مع أنّ هذا الجواز غائب عن النظام الخليلي.

وكلّ ما حفظ لنا التاريخ عن الأخفش من كتب وآراء وأقوال، يشهد أنّ استدركااته لم تخرجه من النظام الخليلي، فهو تلميذ ملتزم بذلك النظام من دون أن يخرج من دائرة الخليل في العروض. تجدر الإشارة إلى أنّ الخليل والأخفش لم يجهلا هذا البحر من الأساس، فلم يغفلاه، لأنّ استخراج المتدارك من دائرة المتقارب كان في غاية السهولة لديهما ولدى أيّ عروضي آخر، إلاّ أنّ المتدارك كان من البحور المهملة لديهما.

١ طوسي معيار الأشعار ص ٢٦٠.

٢ زكريّا الأنصاري فتح ربّ البرية في شرح قصيدة الخزرجية ص ٧٩.

٣ الدمهوري الحاشية الكبرى ص ٩٤.

٤ أنظر: حازم القرطاجني منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٢٢٩-٢٣١.

٥ قد اقترح مصطفى جمال الدين أن ينقسم المتدارك "إلى بحرین يُسمّى أحدهما «المتدارك» وهو ما جاء على «فاعلن»، والآخر «الخبب» وهو ما جاء على «فعلن». مصطفى جمال الدين، الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة، ص ١٤٠. وكذلك ميّز عبد الصاحب المختار البحر المتدارك من الخبب بقوله: "فالمتدارك إذن تنطبق عليه قواعد الزحاف العامة للشعر... فلا علاقة للمتدارك ببحري دقّ الناقوس والخبب". عبد الصاحب المختار دائرة الوحدة في أوزان الشعر العربي ص ٨٥.

كَيْفِيَّةُ انْتِسَابِ الْمَتَدَارِكِ إِلَى الْأَخْفَشِ

حسب بعض التتبعات في الكتب العروضية وغير العروضية بعد القرن السادس/ الثاني عشر، وجدنا هذا الانتساب الكاذب في كتاب **وفيات الأعيان** لابن خلكان (١٢٨٢/٦٨١) هو الذي نسب المتدارك -وعنده الخبب- إلى الأخفش في كلامه حول الخليل، فكرّره مرّة أخرى في كلامه على الأخفش نفسه قائلاً: "وهذا الأخفش زاد في العروض بحر الخبب كما سبق في حرف الخاء في ترجمة الخليل".^١ واكتفي بهذا القول المختصر دون إتيان برهان ودون إحالة إلى مصدر أخذ منه.

نحن نعرف أنّ ابن خلكان لم يكن رجلاً عروضيّاً ونزعم أنّه إمّا سمع هذا الكلام من شخص ظنّ أنّه متخصصّ في علم العروض وأتكاأ إليه، أو أساء في فهم ما قرأ في كتاب عروضيّ الذي أدّى إلى استنتاج خاطئ؛ كمثال ورد عند ابن السراج الشنبريني "والقبض فيه [فعلون من البحر المتقارب] إذا لم يكثر حسن وهو يجوز في جميع أجزائه إلّا الضرب. والجزء الذي يلي العروض المحذوفة من قبلها والجزء الذي يلي الضرب الأبر في الموضوعين. وقد أجازة الأخفش في الأوّل منها، وذلك سهل لدخول المتدارك^٢ على المتوافر".^٣

أمن الممكن أن نزعم أنّ ابن خلكان قد أساء في فهم هذه العبارة أو عبارات مثلها في كتاب آخر واستنتج انتساب المتدارك إلى الأخفش؟ لا ندري ذلك ولسنا متأكّدين منه. ولكن ما يهمنا هنا هو أنّ البحر المتدارك لم يكن منسوباً إلى الأخفش قبل القرن السابع/ الثالث عشر ولم ترد أيّ إشارة إلى هذا الانتساب من قبل العروضيّين حتّى القرن التاسع/ الخامس عشر. ومن الغريب جدّاً أن يشرح ابن جنّي كتاب القوافي للأخفش في كتاب مسمّى بـ «المعرب»^٤ ولم يكن يعرف استدراكه على الخليل في بحر من البحور، أو يذكر العروضيّون ما خالف الأخفش الخليل وما استدرك عليه في أمور جزئية مثل ما يتعلّق بالزحافات والأعاريض والأضرب ويغضّوا النظر عن استدراك بحر من البحور. ثمّ لا توجد في أيّ كتاب عروضيّ آراء الأخفش في جزئيات البحر المتدارك، مثلاً آراؤه في زحافات المتدارك وعلله وأعايضة وأضربه إطلاقاً. وإتّما مصادر التراث تنكر إثبات المتدارك من قبل الأخفش خلافاً لما ذكر

١ ابن خلكان **وفيات الأعيان** ج ٢ ص ٣٨١. وكذلك انظر: ج ٢ ص ٢٤٤ «ترجمة الخليل بن أحمد».

٢ مصطلح «المتدارك» هنا لا يعني بحراً بل هو نوع من أنواع القافية.

٣ ابن السراج **المعيار في أوزان الأشعار** ص ٨٣.

٤ ابن جنّي **الخصائص** ج ١ ص ٨٤.

كمال أبو ديب بأن «المتدارك حدّده الأخفش كما تقرّر مصادر التراث». وكذلك إنّ هناك عَرُوضِيَّينِ إيرانيَّينِ وصل كتاباهما إلينا - وهما عاشا في القرن السابع/ الثالث عشر وهما أشهر العَرُوضِيَّينِ الفرس أي شمس الدين محمد قيس الرازي (بعد ٦٢٨/١٢٣٠) ونصير الدين الطوسي (٦٧٢/١٢٧٣) - ذَكَرَا البحر المتدارك دون انتسابه إلى الأخفش^١ وسمّياه «المُحدَث» أو «الغريب» وهما كانا على اطلاع واسع لآراء العَرُوضِيَّينِ العرب حتّى نهاية القرن السادس/ الثاني عشر.

وهذا ما يؤكّد على أنّ انتساب المتدارك إلى الأخفش لم يكن معروفاً عند العَرُوضِيَّينِ القدامى وقد ذكرنا تقرير مصادر التراث بأنّها لا تؤيّد الانتساب، فيبدو أنّ الأمر قد بدا من رجل غير عَرُوضِيّ في القرن السابع/ الثالث عشر ثم صدّقه العَرُوضِيَّون بعده.

في القرن التاسع/ الخامس عشر نرى أنّ بدر الدين الدماميني (٨٢٩/١٤٢٤) نسب المتدارك إلى الأخفش بريب وتردّد، في كتابه العيون الغامزة^٢ الذي ألفه سنة ٨١٧/١٤١٤، لكنّه قال في مكان آخر من الكتاب نفسه: "لم يذكره [المتدارك] الخليل واستدركه المحدثون"^٣ دون تحديد شخص معيّن. وأخيراً في القرن العاشر/ السادس عشر قد عدّ زكريّا الأنصاري (٩٢٦/١٥٢٠) نسبة المتدارك إلى الأخفش "قولاً مشهوراً عند فصحاء العرب"^٤، من دون أن يذكر مصدراً لهذه الشهرة. ثمّ نقل محمّد الدمنهوري (١٢٨٨/١٨٧١) قول زكريّا الأنصاري نقلاً حرفياً وأيد رأيه بأنّه قول مشهور من دون الإشارة إلى مصدر آخر.^٥ وبالفعل صارت نسبة المتدارك إلى الأخفش قولاً مشهوراً عند علماء الأدب، خاصّةً عند العَرُوضِيَّينِ بعد الدمنهوري.^٦

١ شمس قيس المعجم في معايير أشعار العجم ص ٧٥؛ طوسي معيار الأشعار ص ٢٠٠، ٢٦٠.

٢ الدماميني العيون الغامزة ص ٥.

٣ المصدر السابق ص ٢١.

٤ زكريّا الأنصاري فتح ربّ البرية في شرح قصيدة الخزرجية ص ٧٩٥.

٥ الدمنهوري الحاشية الكبرى ص ٣٦، ٦٣.

٦ من الباحثين المعاصرين الذين نسبوا «المتدارك» إلى الأخفش، فلم ترد أسماؤهم في المتن، يمكننا أن نذكرهم؛ من العرب: أحمد رجائي، أوزان الأشعار: مقارنة جديدة في علم العَرُوض، ص ٣٧؛ إميل يعقوب، المعجم المفصّل في علم العَرُوض والقافية وفنون الشعر، ص ١١٦؛ بدوي محتون، علم العَرُوض، ص ٣٣؛ جلال الحنفي، العَرُوض: تهذيب وإعادة تدوينه، ص ٢٧٥؛ حسن نورالدين، الشعرية وقانون الشعر، ص ٢٩٨؛ سليمان البستاني، إلبادة هوميروس: معرّية نظماً، "المقدّمة"، ص ١٥٧؛ السيّد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، ص ١٠٥؛ صفاء

إننا نظنّ أنّ هذه الأدلّة الثلاثة تكفي لكي تثبت عدم صحّة انتساب المتدارك إلى الأخصف فهو لم يزد بجرّاً على الخليل ولم يكن هذا الاستدراك فضلاً له خاصةً استدراك بحرٍ فاشلٍ مثل المتدارك الّذي يُظنّ قريب اليقين قد أهمله الخليل لعدم شواهد شعريّة.

وقد أدّت هذه الانتساب الخاطئ إلى استنتاجات خاطئة عند بعض الباحثين، نكتفي بذكر واحد منهم قائلاً: "بكتير من الاستسلام لسمعة الأخصف في علوم اللغة العربيّة ودون أيّ تحفّظ، نسب اختراع بحر المتدارك للأخصف دون اعتراض من أحد. وكان في هذه التسمية ما يُراد به الانتقاص من علم الخليل والرفع من قيمة الأخصف، وإذا صحّ ما قيل إنّ الأخصف ادّعى دون استحياء أنّه يملك علماً أو سمع من علم سيبويه، فلا عجب أن يحاول، بإضافته إلى علم العروض البحر السادس عشر، كي يبدو أعلم من الخليل".^١

خلوصي، فنّ التقطيع الشعري والقافية، ص ١٩٧؛ عبّاس عجلان، دراسات في موسيقا الشعر: علم العروض، ص ٥٩؛ عبد الحميد حمام، معارضة العروض، ص ١؛ عبد الرحمن السيّد، العروض والقافية: دراسة ونقد، ص ١٣٥؛ عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، ص ١٢٧؛ عيسى علي العاكوب، موسيقا الشعر العربي، ص ١٦٩، ١٧١؛ غازي يموت، بحور الشعر العربي، ٢١١؛ محمّد أبو علي، علم العروض ومحاولات التجديد، ص ١٩؛ محمّد خفاجي، الشعر العربي أوزانه وقوافيه، ص ٣١؛ محمّد حماسة عبداللطيف، البناء العروضي للقصيدّة العربيّة، ص ٩٥؛ محمّد العياشي، نظريّة إيقاع الشعر العربي، ص ١٨١؛ محمّد قاسم، المرجع في علميّ العروض والقوافي، ص ١١١؛ محمّد قناوي، الكامل في العروض والقوافي، ص ١٧٥؛ محمّد هيثم غزّة، المستشار في العروض وموسيقا الشعر، ص ١٧؛ محمود السّمّان، العروض القلّميّ، ص ٢٤، ٧٥؛ محمود مصطفي، أهدي سبيل إلى علميّ الخليل: العروض والقافية، ص ٦٨؛ مصطفى جمال الدين، الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة، ص ١٣٧؛ مصطفى حرّكات، أوزان الشعر، ص ١٥١؛ مصطفى الغلاييني، الثريا المضيئة، ص ٦٤؛ مدوح حقّي، العروض الواضح، ص ٥٩؛ نايف معروف، الموجز الكافي في علوم البلاغة والعروض، ص ٢٦٥؛ نايف معروف وعمر الأسعد، علم العروض التطبيقي، ص ١٧١؛ نور الدين صمّود، تبسيط العروض، ص ٣٧؛ هاشم منّاع، الشافي في العروض والقوافي، ص ٢١٧؛ ونرى أنّ هذه النسبة الخاطئة وردت في الكتب المدرسيّة أيضاً، انظر: مهدي ناصرالدين وعادل الصّبّاغ، مبادئ قواعد اللغة والإملاء: التعليم الأساسي للسنّة التاسعة، ص ٢٥٤.

ومن الإيرانيين: پرويز نابل خانلري، وزن شعر فارسي، ص ١٩٧؛ حسين مدرّسي، فرهنگ توصيفي اصطلاحات عروض، ص ٥٦؛ حميد حسّني، موسيقي شعر نيما، ص ٢٠؛ سيروس شميسا، فرهنگ عروضي، ص ١١٦؛ يحيى معروف، العروض العربي البسيط، ص ٤٩.

ومن المستشرقين: جويار، نظريّة جديدة في العروض العربي، ص ٢٠٨-٢٠٩؛ فان ديك الإمبريكان، محيط

الدائرة، ص ١٠٣؛ Elwell- Satton, *The Persian meters*, p. 42.

١ ميشيل أديب حكاية العروض: دراسة في أوزان الشعر ص ١٤.

ابن حمّاد الجوهري مستدرِك البحر المتدارك

ولكن يُطرح هنا سؤال، فهو: من الذي استدرِك هذا البحر على البحور الخليلية؟ أو بتعبير أدق، من الذي اعترف بوجود هذا البحر ضمن البحور الخليلية، فوضع له قواعد، وبيّن خصائصه؟ لقد ورد المتدارك في القرن الرابع/ العاشر في كتابين مهمين: أحدهما الإقناع في العروض، ولكن ذكره الصحابُ بن عبّاد ببضعة أسطر وهو ينظر إليه وأوزانه نظرة ازدراء واستخفاف.^١ وثانيهما عروض الورقة لابن حمّاد الجوهري؛ ونحن نظنّ أنّه هو الذي اعترف بالمتدارك واستدركه على الخليل، ولنا حجّتان على هذا الرأي:

١- قد اهتمّ ابن رشيق القيرواني (٤٥٦/١٠٦٤) بأراء الجوهري أكثر من غيره وهو صرّح على هذا الاستدرِك في قوله: "وجعل الجوهري هذه الأجناس اثني عشر باباً، على أنّ فيها المتدارك"، وأردف قائلاً: "سبعة منها مفردات، وخمسة مركّبات، قال: فأولّها المتقارب، ثمّ الهزج، والطويلُ بينهما مركّب منهما؛ ثمّ بعد الهزج الرملُ، والمضارعُ بينهما؛ ثمّ بعد الرمل الرجزُ، والخفيفُ بينهما؛ ثمّ بعد الرجز المتداركُ، والبسيطُ بينهما؛ ثمّ بعد المتدارك المديدُ، مركّبٌ منه [المتدارك] ومن الرمل؛ قال: ثمّ الوافر والكامل، لم يتركّب بينهما بحر لما فيهما من الفاصلة".^٢

ثمّ صرّح أكثر من ذلك وشرح ما يقصده الجوهري بالمتدارك قائلاً: "والمتدارك الذي ذكره الجوهري مقلوب من دائرة المتقارب، وذلك أنّ فعولن يخلفه فاعلن ويخين فيصير فعِلن، وشعر عمرو الجني منه، وهو الذي يسمّيه الناس اليوم الخبب".^٣

٢- قد ذكر الجوهري هذا البحر باسم «المتدارك» فقط، فخصّص له فصلاً خاصاً وشرح قواعده وذكر أوزانه وزحافاته،^٤ مثل ما فعل في البحور الأخرى. ويعتقد الجوهري أنّ مَثَمَن المتدارك وزن قديم، ومسدّسه محدث عنده، ويصرّح أنّ "الخليل لم يُعدّ المتدارك في البحور"،^٥ ولكن لا ينسبه إلى

١ الصحاب بن عبّاد الإقناع ص ٧٦.

٢ ابن رشيق العمدة ج ١ ص ١٣٦؛ وينطبق هذا الكلام تماماً على ما ورد عند الجوهري انظر: الجوهري عروض الورقة ص ١١.

٣ ابن رشيق العمدة ج ١ ص ١٣٧.

٤ الجوهري عروض الورقة ص ٦٨-٦٩.

٥ المرجع السابق ص ٦٨ وكذلك ص ١٢.

الأخفش إطلاقاً. وإثبات مَثَمَّن المتدارك عنده يمكن أن يكون نتيجة اعتماده على شاذّ الشعر القديم.^١ هناك أمر مهمّ فعلينا أن لا نغفله وهو أنّ الجوهرى كان بحاجة ماسّة إلى البحر المتدارك في بناء فرضيته التي تخالف فرضية الخليل العروضية، ونحن لا نرى من العروضيّين القدامى من خالف الخليل كما خالفه الجوهرى، وكذلك استدرك عليه أموراً شتى، ومنها الأوزان الجديدة التي ذكرها الجوهرى، لأنّه من أنصار توسّع الأوزان العربيّة.

قد رفض الجوهرى أن يكون جزء «مفعولات» جزءاً صحيحاً، لأنّه لو كان جزءاً صحيحاً لتركّب من مفردة بحرٌ كما تركّب من سائر الأجزاء^٢، وفي رأيه «فاعلن» تفعيلة من ضمن التفعيلات العروضية، لأنّ لها صلاحية لتركّب من مفرداتها بحرٌ وهذا البحر ليس إلّا البحر المتدارك، كما كان بحاجة إلى البحر المتدارك في بناء بحرّين مركّبين - على طريقته الخاصّة به - وهما البسيط (مستفعلن فاعلن) والمستفعلن فاعلن) والمديد (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن) بقوله هذا: «ثمّ بعد الرجز المتدارك، والبسيط بينهما ثمّ بعد المتدارك المديد، مركّب منه [المتدارك] ومن الرمل»^٣.

وإذا حذفنا المتدارك من فرضية الجوهرى نقصت فرضيته نقصاً فادحاً في إثبات بحرّى البسيط والمديد لحضور تفعيلة «فاعلن» في كلا البحرين.

وأخيراً في كلامنا حول استدرك الجوهرى المتدارك على البحور الخليليّة لا نقصد أنّه هو الذي وضع البحر وأوزانه، لأنّ مَثَمَّن المتدارك على قول الجوهرى كان موجوداً في الشعر القديم - ولو في أبيات قليلة - فلم يذكره الخليل وقد أهمله و «لم يعدّه من البحور» ولم يذكره تلميذه أبو الحسن سعيد بن مسعدة المشهور بالأخفش الأوسط. بل ما نقصد من تدارك الجوهرى هذا البحر هو أنّه أوّل عالم عروضيّ اعترف به بين معاصريه، وأقبل عليه وأدرجه ضمن البحور الخمسة عشر الخليليّة وسماه باسم «المتدارك» وخصّص له باباً مستقلاً وشرح قواعده وأوزانه شرحاً وافياً.

وكانت هذه المحاولات كلّها من أجل حاجته إلى المتدارك في بناء فرضيته الخاصّة به، فهل يسمح لنا بأنّ نسوّي هذا الاعتراف به من قبل اسماعيل بن حمّاد الجوهرى استدراكاً أو تداركاً في البحر المتدارك؟

الخاتمة

١ لا يذكر الجوهرى أيّ وزن من أوزان المتدارك المَثَمَّن قدم كأنّه يقصد الأوزان المَثَمَّنَة كلّها.

٢ الجوهرى عروض الورقة ص ١١.

٣ الجوهرى عروض الورقة ص ١١.

نستخلص ما ورد في المقال حول استدراك المتدارك على البحور الخليلية على ما يلي:

أ- لم يستدرك الأخفش البحر المتدارك على البحور الخليلية رغم شهرة انتسابه إليه، للأسباب

التالية:

- لا يؤيد كتابا الأخفش في العروض والقافية هذا الاستدراك، إذ لم يرد المتدارك في هذين الكتابين.
- لم ينسب العروضيون في آثارهم البحر المتدارك إلى الأخفش أبداً، منذ تأسيس علم العروض إلى القرن السادس الهجري.
- ترفض دراسة المتدارك دراسةً بنويةً إلى جانب الدراسة التاريخية أن يكون الأخفش قد استدركه على الخليل.
- ب- في رأينا ابن حماد الجوهري هو الذي استدرك المتدارك على البحور الخليلية، وأدلتنا على هذا الرأي هي:
- الجوهري أول عروضيٍ لُقّب هذا البحر بالمتدارك وخصّص له باباً في كتابه عروض الورقة وشرح علله وزحافاتة.
- كان الجوهري يحتاج إلى بحر مكوّن من تكرار «فاعلن» في فرضيته العروضية التي تختلف عن منهج الخليل في استخراج البحور الشعرية، إذ إنّ فرضيته لا تكتمل بدون المتدارك.
- نجد إشارات إلى استدراك الجوهري المتدارك في كتاب العُمدة لابن رشيق القيرواني الذي كان يرحّح منهج الجوهري في العروض على المناهج الأخرى.

المصادر والمراجع

- ١- ابن جنّي أبو الفتح عثمان الخصائص تحقيق محمد علي النجّار ط ٢ القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١/١٩٥٢، ١٣٧٤/١٩٥٥، ١٣٧٦/١٩٥٦، ثلاثة أجزاء.
- ٢- كتاب العروض تحقيق حسن شاذلي فرهود ط ١ بيروت: مطابع دار القلم ١٣٩٢/١٩٧٢.
- ٣- ابن خلّكان أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر وفّيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق عبّاس إحسان بيروت: دار الثقافة ثمانية أجزاء.
- ٤- ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن العمدة في محاسن الشعر وآدابه وتقده حقه وفصله وعلّق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ط ٣ القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٨٣/١٩٦٣.

- ٥- ابن السراج الششتري أبو بكر محمد المعيار في أوزان الأشعار والكافي في علم القوافي تحقيق محمد رضوان الدايدة ط ١ بيروت: دار الأنوار ١٣٨٨/١٩٦٨.
- ٦- ابن عبد ربّه أبو عمر أحمد بن محمد العقدة الفريد شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته ورثب فهارسه أحمد أمين أحمد الزين إبراهيم الابياري القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٥/١٩٦٥ الجزء الخامس.
- ٧- ابن القطّاع أبو القاسم علي بن جعفر البارغ في علم العَروض قدّم له ودرسه وحقّقه وعلّق عليه وصنع فهارسه أحمد محمد عبد الدايم مَكّة المكرّمة: المكتبة الفيصلية ١٤٠٥/١٩٨٥.
- ٨- أبو الحسن العَروضي أحمد بن محمد الجامع في العَروض والقوافي حقّقه وقَدّم له زهير غازي زاهد وهلال ناجي ط ١ بيروت: دار الجليل، ١٤١٦/١٩٩٦.
- ٩- أبو ديب كمال في البنية الإيقاعية للشعر العربي: نحو بديل جذري لعروض الخليل ومقدّمة في علم الإيقاع المقارن ط ١ بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٤.
- ١٠- أبو علي محمد توفيق علم العروض ومحاولات التجديد ط ٢ بيروت: دار النفائس ١٤٢١/٢٠٠١.
- ١١- الأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة كتاب العَروض تحقيق وتعليق وتقديم أحمد محمد عبد الدايم عبد الله مَكّة المعابدة: المكتبة الفيصلية ١٤٠٥/١٩٨٥.
- ١٢- كتاب القوافي تحقيق عزة حسن دمشق: وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ١٣٩٠/١٩٧٠.
- ١٣- أديب ميشيل حكاية العَروض دراسة في أوزان الشعر دمشق: منشورات وزارة الثقافة ١٩٩٩.
- ١٤- الإسْتَوْجِمَال الدين عبد الرحيم نهاية الراغب في شرح عَروض ابن الحاجب تحقيق شعبان صلاح ط ١ بيروت: دار الجليل ١٤١٠/١٩٨٩.
- ١٥- الأنصاري زكريّا كتاب فتح ربّ البرية بشرح قصيدة الخرجية [في هامش العيون الغامزة على حبايا الرامزة لبدر الدين أبي عبد الله بن أبي بكر المخزومي الدماميني] القاهرة: المطبعة الميمنية ١٣٢٤ هـ.
- ١٦- أنيس إبراهيم موسيقى الشعر ط ٤ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢.
- ١٧- البستاني سليمان إلياذة هوميروس: معرّبة نظماً وعليها شرح تاريخي أدبي، القاهرة: مطبعة

الهلال ١٩٠٤.

- ١٨ - جمال الدين مصطفى الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة النحف الأشرف: مطبعة
النعمان ١٣٩٠/١٩٧٠.
- ١٩ - الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد عروض الورقة تحقيق محمد العلمي ط ١ الدار البيضاء
المغرب: دار الثقافة ١٩٨٤.
- ٢٠ - جويار ستانسلاس (M. Stansilas Guyard) نظرة جديدة في العروض العربي ترجمة
منجي الكعبي ومراجعة وتعليق عبد الحميد الدواخلي القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦.
- ٢١ - حازم القرطاجي أبو الحسن حازم بن محمد منهاج البلغاء وسراج الأدباء تقديم وتحقيق محمد
الحبيب بن الخوجة ط ٢ بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨١.
- ٢٢ - حركات مصطفى أوزان الشعر بيروت صيدا: المكتبة العصرية ١٤٢٢/٢٠٠٢.
- ٢٣ - حقي ممدوح العروض الواضح: للمدرسين والطلاب في المدارس الثانوية والعالية ط ٢ القاهرة:
دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٤.
- ٢٤ - حمام عبد الحميد معارضة العروض ط ١ عمان: منشورات وزارة الثقافة ١٩٩١.
- ٢٥ - الحنفي جلال العروض: تهذيب وإعادة تدوينه ط ٢ بغداد: مطبعة الإرشاد ١٤٠٥/١٩٨٥.
- ٢٦ - الخطيب التبريزي أبو زكريا يحيى بن علي كتاب الكافي في العروض والقوافي تحقيق الحسّاني
حسن عبدالله القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
- ٢٧ - خفاجي محمد عبد المنعم الشعر العربي أوزانه وقوافيه ط ١ القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى حلي وأولاده ١٣٦٧/١٩٤٨.
- ٢٨ - خلوصي صفاء فنّ التقطيع الشعري والقافية ط ٣ بيروت: مطابع دار الكتب ١٩٦٦.
- ٢٩ - الدماميني بدر الدين أبو عبد الله بن أبي بكر المخزومي العيون الغامزة على خبايا الرامزة
القاهرة: المطبعة الميمنية ١٣٢٤ هـ.
- ٣٠ - الدمنهوري محمد الحاشية الكبرى أو الإرشاد الشافي على متن الكافي في علمي العروض
والقوافي القاهرة: المطبعة الميمنية ١٣٠٧.
- ٣١ - الراضي عبد الحميد شرح تحفة الخليل في العروض والقافية بغداد: مطبعة العاني
١٣٨٨/١٩٦٨.
- ٣٢ - الربيعي التّحوي أبو الحسن علي بن عيسى العروض تحقيق محمد أبو الفضل بدران ط ١

- بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ١٤٢٠/٢٠٠٠.
- ٣٣- رجائي آغا القلعة أحمد أوزان الأشعار: مقارنة جديدة في علم العروض دمشق: مؤسّسة الصالحاني ١٩٩٦.
- ٣٤- الزمخشري أبو القاسم محمود جار الله القسطاس في علم العروض تحقيق فخر الدين قباوة ط ٢ بيروت: مكتبة المعارف ١٤١٠/١٩٨٩.
- ٣٥- السكّكي أبو يعقوب يوسف بن محمّد مفتاح العلوم حقّقه وقدم له وفهرسه عبد الحميد هنداي ط ١ بيروت: دار الكتاب العلمية ٢٠٠٠.
- ٣٦- السّمّان محمود علي العروض القديم: أوزان الشعر العربي وقوافيه ط ٢ القاهرة: دار المعارف ١٩٨٦.
- ٣٧- السيّد عبد الرحمن العروض والقافية: دراسة ونقد ط ١ القاهرة: مطبعة قاصد خير.
- ٣٨- السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أخبار النحويين البصريين تحقيق وشرح محمّد عبد المنعم الخفاجي ط ١ بيروت: دار الجليل ١٤٢٤/٢٠٠٤.
- ٣٩- الشريف السبتي محمّد بن أحمد الحسيني شرح الخزرجية في علمي العروض والقوافي (مخطوط) مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت.
- ٤٠- الصاحب بن عبّاد أبو القاسم إسماعيل الإقناع في العروض وتخريج القوافي تحقيق محمّد حسين آل ياسين ط ١ بغداد: مطبعة المعارف ١٣٧٩/١٩٦٠.
- ٤١- صمّود نور الدين تبسيط العروض تونس: الدار التونسية للنشر ١٩٦٩.
- ٤٢- الطيّب عبد الله المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ط ٢ بيروت: دار الفكر ١٩٧٠.
- ٤٣- العاكوب عيسى علي موسيقا الشعر العربي: عرض وافٍ ومبسّط لمباحث علمي العروض والقوافي وفنون النظم المستحدثة ط ٢ بيروت دمشق: دار الفكر المعاصر ٢٠٠٠.
- ٤٤- عبد اللطيف محمّد حماسة البناء العروضي للقصيد العربية ط ١ بيروت القاهرة: دار الشروق ١٩٩٩/١٤٢٠.
- ٤٥- عتيق عبد العزيز علم العروض والقافية بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٤.
- ٤٦- عجلان عبّاس دراسات في موسيقا الشعر: علم العروض إسكندرية: دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩.
- ٤٧- العلمي محمّد العروض والقافية: دراسة في التأسيس والاستدراك ط ١ الدار البيضاء المغرب: دار

الثقافة ١٤٠٤/١٩٨٣.

- ٤٨- العياشي محمد نظرية إيقاع الشعر العربي تونس: المطبعة العصرية ١٩٧٦.
- ٤٩- غرة محمد هيثم المستشار في العروض وموسيقا الشعر ط ١ بيروت دمشق: دار ابن كثير دار الكلم الطيب ١٤١٥/١٩٩٥.
- ٥٠- الغلابي مصطفى سليم الثريا المضيئة في الدروس العروضية ط ٢ بيروت صيدا: المكتبة العصرية ١٩٢٠.
- ٥١- فان ديك الأمريكي كرنيوس كتاب محيط الدائرة في علمي العروض والقافية بيروت: المطبعة الأميركية ١٨٥٧.
- ٥٢- قاسم محمد أحمد المرجع في علمي العروض والقوافي ط ١ طرابلس لبنان: جروس برس ٢٠٠٢.
- ٥٣- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف إنباه الرواة على أنباه التحاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ١ القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩/١٩٥٠.
- ٥٤- قناوي محمد الكامل في العروض والقوافي القاهرة: مكتبة الجامعة الأزهرية.
- ٥٥- الخليلي محمد بن علي شفاء الغليل في علم الخليل حقه وقدم له وعلق عليه شعبان صلاح ط ١ بيروت: دار الجيل ١٤١١/١٩٩١.
- ٥٦- المختار عبد الصاحب دائرة الوحدة في أوزان الشعر العربي تونس: دار الثقافة ١٩٨٥.
- ٥٧- محتون بدوي علم العروض تونس: دار المعارف للطباعة والنشر.
- ٥٨- مصطفى محمود أهدي سبيل إلى علمي الخليل: العروض والقافية ط ١ بيروت: دار الفكر العربي ١٩٩٧.
- ٥٩- معروف نايف الموجز الكافي في علوم البلاغة والعروض بيروت: دار بيروت المحروسة ١٩٩٣.
- ٦٠- معروف نايف الأسعد عمر علم العروض التطبيقي ط ١ بيروت: دار النفائس ١٩٨٧/١٤٠٧.
- ٦١- معروف يحيى العروض العربي البسيط: أسهل الطرق لتعلم العروض والقافية ط ١ طهران: سازمان مطالعه و تدوين كتب علوم انسانى دانشگاه ها (سمت) ١٣٧٨ هـ. ش.
- ٦٢- متاع هاشم صالح الشافي في العروض والقوافي ط ٤ بيروت: دار الفكر العربي

٢٠٠٣/١٤٢٤.

- ٦٣- ناصرالدين مهدي الصبّاغ عادل مبادئ قواعد اللغة والإملاء: التعليم الأساسي للسنة التاسعة طرابلس لبنان: دار الشمال.
- ٦٤- نورالدين حسن الشعرية وقانون الشعر ط ١ بيروت: دار العلوم العربية ٢٠٠١.
- ٦٥- الهاشمي السيد أحمد ميزان الذهب في صناعة شعر العرب شرح وتحقيق سعيد محمود عقيل ط ١ بيروت: دار الجليل ١٤٢٦/٢٠٠٥.
- ٦٦- يعقوب إميل بديع المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ط ١ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١١/١٩٩١.
- ٦٧- يموت غازي بحور الشعر العربي: عروض الخليل ط ٢ بيروت: دار الفكر اللبناني ١٩٩٢.

المصادر والمراجع الفارسية والإنكليزية

- ١- حسني حميد موسيقى شعر نيمّا تحقيقي در اوزان وقلهاي شعري نيمايوشيچ چاپ اول تهران: كتاب زمان ١٣٧١ هـ. ش.
- ٢- شمس قيس شمس الدين محمد قيس الرازي المعجم في معايير اشعار العجم تصحيح محمد بن عبد الوهاب قزويني وتصحيح مجدد مدرس رضوي چاپ سوم تهران: كتابفروشي زوار ١٣٦٠ هـ. ش.
- ٣- شمس سيروس فرهنگ عروضي چاپ سوم تهران: انتشارات فردوس ١٣٧٥ هـ. ش.
- ٤- طوسي خواجه نصير الدين معيار الأشعار چاپ دوم [به انضمام شعر وشاعري در آثار خواجه نصيرالدين طوسي جمع وتنقيح معظمه اقبالي] تهران: سازمان چاپ وانتشارات وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي ١٣٧٠ هـ. ش.
- ٥- مدرس حسين فرهنگ توصيفي اصطلاحات عروض چاپ اول تهران- مشهد: سازمان مطالعه وتدوين كتب علوم انساني دانشگاهها (سمت) بنياد پژوهشهاي اسلامي ١٣٨٠ هـ. ش.
- ٦- ناتل خانلري پرويز وزن شعر فارسي چاپ ششم تهران: انتشارات توس ١٣٧٣ هـ. ش.

74- Cheneb , M. Ben, "Mutadārik", in *Encyclopaedia of Islam*, new edition, Leiden\ London: Brill\ Luzac, 1993, volume VII, p.

759.

75- Elwell- Sutton, Laurence Paul, *The Persian metres*, first edition, Cambridge: Cambridge university press, 1976.

76- Weil, Gotthold, "Arūd. I", in *Encyclopaedia of Islam*, new edition, Leiden\ London: Brill\ Luzac, 1960, volume I, pp. 667-677.